المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

التعريف والتنكير
(دراسة نظرية وتطبيقية في القرآن الكريم)

د. عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود

أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن الكريم، قسم القرآن الكريم وعلومه، الجامعة الإسلامية، منسوتا، الولايات المتحدة الأمريكة

E-MAIL: abd_sood@yahoo.com

الملخص

التعريف والتنكير في القرآن الكريم لون من أبرز ألوان الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ومن أدرك دواعيه ودلالاته أدرك سراً من أبرز أسرار الإعجاز القرآني، حيث ترى الكلمة في القرآن الكريم تعرف تارة وتنكر تارة أخرى؛ وما كان ذلك ليكون إلا لحكمة بالغة، وهذا ما سعى الباحث لإيصاله في بحثه هذا، وقد اعتمد الباحث المنهج الاستنباطي التحليلي؛ ليبرز الدواعي والدلالات للتعريف والتنكير ، وكانت أبرز نتائج البحث أن التعريف والتنكير في القرآن الكريم لم يكن اعتباطاً وإنما لحكمة بالغة، وبمعرفة هذه الدواعي والدلالات يبرز لوناً من ألوان الإعجاز البياني، ومن أبرز التوصيات المنبثقة من هذا البحث إيجاد دراسات بيانية تفسيرية لكل سورة من سور القرآن الكريم تعنى بالكلمة والجملة القرآنية وتبرز أثر التعريف والتنكير على الكلمة والجملة والسورة القرآنية بدراسات مستفيضة لأهميتها البالغة.

Summar

The definition and denial of the Noble Qur'an is one of the most prominent colors of the graphic miracle in the Holy Qur'an, and whoever realizes its motives and connotations will realize one of the most prominent secrets of the Qur'an miracle, as you see the word in the Noble Qur'an known at times and denied at other times. This would not have been except for great wisdom, and this is what the researcher sought to convey in his research, and the researcher adopted the analytical deductive approach. To highlight the motives and connotations of the definition and denial, and the most prominent results of the research were that the definition and denial of the Noble Qur'an was not an arbitration but of great wisdom, and with knowledge of these motives and connotations a color emerges from the colors of the graphic miracles, and one of the most prominent recommendations emerging from this research is to find explanatory graphic studies for each surah of the Qur'an. Al-Karim deals with the word and the Qur'anic sentence and highlights the effect of definition and denial on the word, sentence and the Qur'anic surah with extensive studies of its great importance.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

المقدمة

فإنّ القرآن الكريم كلام الله وحبله المتين، والذكر الحكيم والنور المبين، لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه ولا يملّ مع كثرة التكرار، وقد بذلت الجهود في خدمته، وسخّرت الأوقات في تدبّره، وهيّئت له الهمم، وخير ما خدم به كتاب الله تعالى بيان علومه، وإثبات إعجازه، فقد أسهم العلماء في بيان إعجازه، وكتبت الكتب، وصنّفت المصنّفات لإثبات مصدره ، ففي القرآن الكريم الدليل الأكبر على إعجازه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء:88)، ويقول تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: 13)، ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 23)، فبدءاً من هذه الآيات انطلقت جهود العلماء في إبراز وجوه إعجاز القرآن وضوابطه، ومن أبرز وجوه الاعجاز القرآني ما يتعلق بالسياق ومدى أثر الكلمة في موقعها من حيث التركيب (تعريفاً وتنكيراً) فجاءت فكرة هذا البحث في تأصيل وإبراز الدواعي والدلالات لتعريف الكلمة القرآنية أوتنكيرها وفقاً للسياق واثره في تحقيق المعنى المراد.

وقد احتوى البحث على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: التعريف والتنكير في اللغة والاصطلاح وأمثلة على ذلك، المبحث الثاني: دواعي التعريف والتنكير في القرآن الكريم، المبحث الثالث: شواهد من الإيجاز بالتعريف والتنكير وأثرهما في إعجاز القرآن الكريم، ثم خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف والتنكير في اللغة والاصطلاح وأمثلة على ذلك

المبحث الثاني: دواعي التعريف والتنكير في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: شواهد من الإيجاز بالتعريف والتنكير في القرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريف والتنكير في اللغة والاصطلاح.

أولاً: التعريف والتنكير في اللغة.

يمكن القول إن الجذر اللغوي لمادة المعرفة يعود إلى"العين والراء والفاء" وهما: أصلان صحيحان، يدلُّ أحدُهما على تتابُع الشيء متَّصلاً بعضُه ببعض، والآخر على السكون والطُّمَأنينة. فالأوّل العُرْف: عُرْف الفَرَس. وسمِّي بذلك لتتابُع الشَّعر عليه. ويقال: جاءَت القَطا عُرْفاً عُرْفاً، أي بعضُها خَلْفَ بعض، والأصل الآخر المعَرفة والعِرفان. تقول: عَرَف فلانٌ فلاناً عِرفاناً ومَعرِفة. وهذا أمر معروف. وهذا يدلُّ على ما قلناه من سُكونه إليه، لأنَّ مَن أنكر شيئاً توحَّشَ منه ونَبَا عنْه، ومن الباب العَرْف، وهي الرَّائحة الطيّبة، لأنَّ النَّفس تسكُن إليها. يقال: ما أطيَبَ عَرْفَه. قال الله سبحانه وتعالى: (وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) (محمد:6)، أي طيَّبَها[1]، كما يمكن حمل المعنى على الأصل الذي هو بمعنى الوصف؛ أي وصفها لهم.

وأما النكرة فإن الجذر اللغوي لها هو"النون والكاف والراء" وله أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف المعرفة التي يَسكُن إليها القَلب. ونَكِرَ الشَّيءَ وأنكَره: لم يَقْبَلْه قلبُه ولم يعترِفْ به لسانُه، والباب كلُّه راجعٌ إلى هذا. فالنُّكْر: الدَّهْي. والنَّكْراء: الأمر الصعب الشَّديد. ونَكُرَ الأمرُ نَكَارةً. والإنكار: خِلاف

(1)ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، (4 / 229)، بتصرف واسع.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

الاعتراف. والتنكُّر: التَّنقُّل من حالٍ تَسُرُّ إلى أخرى تُكْرَه [1]، وبذلك يتضح أن المعرفة في أحد الأصول اللغوية يدل على السكون والطُّمَأنينة، التي يمكن توظيفها في المعنى الاصطلاحي والنكرة تدل في الأصل اللغوي على الشيء الذي لا يطمئن له القلب ولا يرضى به، ثم تطور المعنى اللغوي ليشمل كل أمر صعب غير ومستساغ.

ثانياً: المعرفة والنكرة في الاصطلاح:

المعرفة: هي ما وضع ليدل على شيء بعينه وهي المضمرات والإعلام والمبهمات وما عرف باللام والمضاف إلى أحدهما والمعرفة أيضا إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف [2].

وأما النكرة فهي: "ما وضع لشيء لا بعينه كرجل وفرس"[3]، وهي اسم يطلق على القليل والكثير، أو على مفرد، أو على أكثر ومعناه شائع في جنس، أو نوع، أو صنف، أو نحو ذلك، وهذا يصدق بالمثنى والجمع"[4].

وبذلك يظهر أن المعنى الاصطلاحي للمعرفة والنكرة وثيق الصلة بالمعنى اللغوي، فالمعرفة من ثبوت في القلب وطمأنينة إلى شيء محدد معرفة معالمه ومميز، والنكرة من ريبة وتردد وعموم وجهالة وهكذا.

المبحث الثاني: دواعي مجيء المعرفة والنكرة في القرآن الكريم.

أولاً: دواعي مجيء المعرفة في القرآن الكريم.

إن مما يتصل بالدقة في اختيار القرآن لألفاظه، ذلك التوازن الدقيق بين تعريف الألفاظ وتنكيرها في البيان القرآني.

فمجيء لفظ في القرآن معرفة، ومجيء لفظ آخر نكرة، ومجيء لفظ آخر معرفة في موضع ونكرة في موضع آخر، لم يكن مصادفة في القرآن، إنما هو مقصود في كل موضع، وجيء به على تلك الحالة لينسجم مع السياق الذي ورد فيه ويتناسق معه، ولدوعي كثيرة منها:

الداعي الأول: الإيجاز والاختصار.

ومن الأمثلة في الضمائر قول الله عزّ وجلّ في:(وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ) (السجدة:12).

فالمعنى"ولو تَرَى أَنْتَ يَا أَيُّها الصالح لمثل هذا الخطاب أيّاً كُنْتَ [5].

الداعي الثاني: إرادة إحضار المتحدّث عنه في ذهن المتلقّي باسمه الخاصّ به (وهذا خاص بالأعلام)، ليمتاز عمّا عداه، ويترجّح هذا الدّاعي حينما يكون المتحدّث عنه معروفاً لدى المُتَلَقِّي باسْمِه الخاصّ به.

ومثاله": قول الله عزّ وجلّ (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة:127)، فقد ذكرهما لاستحضار صورتهما العجيبة المنبثقة عن المعجزةالباهرة[6].

الداعي الثالث: إرادة الإشعار بتعظيم المتحدّث عنه، ويكون هذا في الأعلام التي تشعر بمدح،(وهذا أيضاً خاص بالأعلام).

([1]) ابن منظو، لسان العرب، (232/5)، بتصرف واسع.
([2]) الشريف الجرجاني، التعريفات، (ص283).
([3]) للمزيد ينظر أبو البقاء الكفومي، الكليات، ص1443.
([4])وللمزيد ينظر توسع الحندود، د صالح بن إبراهيم بن مدالله، درجات االتعريف والتنكر، ج9، العدد الحادي والثلاثون، ص397.
([5]) ينظر حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص340.
([6]) بتصرف أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 203/1

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

ومثاله: قول الله تعالى:(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح:29)، أي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله [1].

الداعي الرابع: إرادة الإشعار بإهانة المتحدث عنه، ويكون هذا في الأعلام التي تشعر بذمّ، أو اشتهرت بصفاتها الذميمة، ومثاله: قول الله تعالى:(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (المسد:1)، **وكان شديد العداوة والأذية للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا فيه دين ولا حمية للقرابة ـقبحه الله فذمه الله بهذا الذم العظيم**[2].

الداعي الخامس: أن يقصد تميزه بأكمل تميز

كأن يكون المتكلّم والمتلقّي أو أحدهما لا يعرف من المعارف التي تُميّزُ المتحدَّثَ عنْهُ غيَر كونه حاضراً مُحَسَّاً يشارُ إليه، فيكون استعمال اسم الإشارة لتعيين المتحدّث عنه هو الأمر الذي ينبغي المصير إليه ومثاله قولُهُ تَعَالَى:(وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)(النور:16)، فجاء ذكْرُ حديثِ الإفْكِ باسْم الإشارة "هذا" في ثلاثة مواضع: (هذَا إفْكٌ) و(مَا يكونُ لنا أن نَتَكلّم بهذا) و(هذا بِهْتَانٌ عَظيمٌ) لتمييزه أبلغ تمميز، وإبرازه بما فيه من قُبْحٍ وشناعةٍ وظُلْمٍ لا يَليقُ بالمؤمنين[3].

الداعي السادس: إرادة التعريض بغباوة المتلقّي، إذ يُشْعِر أحياناً استخدام اسْم الإشارة بأنّ المخاطَب يحتاج لتمييز المتحدّث عَنْهُ إلى إشارة حسّيَّةٍ، وأنَّه لاَ تكفيه الدلالات الفكريّة، ومما يمكن أن نفهم منه التعريض بغباوة المخاطبين في قول الله عزَّ وجلَّ:(وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَاذَا بِالْحَقّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)(الأنعام:3.)، أي: أليس هذا الذي أنْتُمْ فيه تُحِسُّونَهُ وَتَعِيشون فيه بعد بعثكُمْ إلى الحياة الأُخْرى بالواقعِ الحقّ، وهو الأمر الذي كنْتُمْ تُنْكِرُونَه وتَجْحَدُونَه في الحياة الدنيا؟[4].

الداعي السابع: إرادة تكريم المتحدَّث عنه والتعبير عن ارتفاع منزلته، باستعمال اسم الإشارة الذي يُشار به إلى البعيد، والأمثلة على هذا كثيرة في القرآن المجيد

ومن الأمثلة، قول الله عزّ وجلّ: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) (البقرة:2)، أي ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والإنجيل وعلى لسان النبين من قبل[5].

الداعي الثامن: إرادة إهانة المتَحَدَّث عنه، والتعبير عن انحطاط منزلته، وبعدها كثيراً إلى جهة الأسفل، باستعمال اسم الإشارة الذي يشار به إلى البعيد

ومثاله قول الله عزّ وجلّ في سورة: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُوْلَائِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (آل عمران:10)، أي أولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به[6].

([1]) ينظرأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 178/6

([2]) ينظر السعدي، تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان، 936/1، وللمزيد السيوطي الاتقان في علوم القرآن، (1 / 558).

([3]) ينظر عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص303.

([4])ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (1 / 558).

([5])ينظر البغوي، معالم التنزيل، 59/1.

([6]) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 356/1.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

الداعي التاسع: إرادة تَحْقِيرِ المتحدَّثِ عنه بتعريفه باسم الإشارة.

ومثاله: قول الله عزَّ وجلَّ حول مقالة الذين كفروا بشأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم:(وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَانِ هُمْ كَافِرُونَ) (الأنبياء:36).

فمن الظاهر في عبارة الذين كفروا: "أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ" أنّهم يريدون التحقير باستعمال اسم الإشارة "هذا" مع الاستفهام الذي يراد منه الاستصغار والتحقير أيضاً[1].

الداعي العاشر: إرادة بيان أنّ المتحدَّثَ عنه واضح جليّ حاضرٌ قريب التناول لا يحتاج إلى بَحْثٍ وَجَهْدٍ للوصول إليه.

ومثاله قول الله عزَّ وجلَّ بشأن القرآن في سورة:(إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً، أَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) (الإسراء:1.)، أي: إنّ هذا القرآن القريب منكم الّذي يُتْلَى عَلَيْكُمْ.

الداعي الحادي عشر: استخدام اسم الإشارة الذي يُشار به إلى ذي أوصاف متعددة سبقت في الكلام، للإشعار بأنّ هذه الأوصاف السابقة هي التي جعلته مستحقاً لأن يُحْكَمَ عليه بما جاء في جملته الخاصة.

ومنه قول الله عزَّ وجلَّ أيضاً في وصف الفاسقين:(الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)(البقرة:27)، أي: إنّ الحكم عليهم بأنّهم هم الخاسرون قد كان بسبب اتصافهم بالأوصاف التي ذُكِرَتْ لهم فيما سبَقَ من النص.

الداعي الثاني عشر: أَنْ لا يكون لدى منْ يتلقَّى الكلامَ عِلْمٌ بشيءٍ من المعرّفات التي تعرّف العنصر الاسميّ، أو تميّزه في الجملة عن غيره، إلاَّ اتّصافه بما دلَّت عليه صلة الموصول، فيكون اختيار الاسم الموصول في هذه الحالة أمراً لازماً لتحقيق البيان الذي يستدعيه الكلام.

كأن لا يعرف عنه المخاطب غير أنّه اشترى منه خروفاً يوم الجمعة، فيقول له ابنُه مثلاً: يا أبي جاء الذي اشتريتَ منه الخروف يوم الجمعة يُطالِبُ بباقي ثمن الخروف.

ومنه قول الله عزَّ وجلَّ في عرض قصة موسى عليه الصلاة والسلام بشأن الإسرائيلي الذي استنصره في مصر فنصره على القبطي:(فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ)(القصص:18)، فمُتلَقُّو هذه القصة وتالوها لا يَعْرِفُونَ عن هذا الرجل غير ما جاء في سِيَاقِ القصة من أنّه استنصر موسى بالأمس فنَصَرَهُ، فوكَزَ مُوسَى الرَّجُلَ القبطيَّ فقضى عليه[2].

الداعي الثالث عشر: إرادة الوصف بما تضمّنته صلة الموصول.

ومنه قول الله عزَّ وجلَّ:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) (البقرة:185].

الداعي الرابع عشر: إرادة زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام، لما في صلة الموصول من ظلال دلالاتٍ توحي بوقوع الحدث

ومن شواهد هذا الداعي قول الله عزَّ وجلَّ بشأن مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه الصلاة والسلام واستعصامه بالعفة وبالخوف من الله، وتمنُّعِهِ عن الوقوع في الفاحشة:(وَرَاوَدَتْهُ

([1]) ينظر الميداني، البلاغة العربية، ص330.

([2])[2] بتصرف ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 225/6.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)(يوسف:23)، فاختيار لصلة: (الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا) دون ذكر اسمها أو ذكر "امرأة العزيز" كما جاء في موضعٍ آخر من السورة، لزيادة تقرير وقوع الحدث، إذْ كونُ يوسف عليه الصلاة والسلام في بيتها، وهي سيّدتُه المطاعة فيه، لا بُدَّ أن يُلاحظ معه أنّها لا تراوده إلاَّ إذا وصَلَتْ إلى ذِرْوة الإعجاب بشخصه والافتتان بصفاته، بعد مخالطة طويلة رأت فيها من جماله وبهائه وذكائه وشبابه ورجولته وحسن أدبه.....[1].

الداعي الخامس عشر: إرادة التفخيم والتعظيم أو التهويل، وذلك لأنّ الإبْهام الذي قد يوحي به اسم الموصول مع صلته أحياناً يومىء إلى ذلك.

ونظيره قول الله عزَّ وجلَّ:(وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) (النجم:54)، المؤتفكة: أي: المنقلبة، وهي قُرَى قوم لوط، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى: أي: فنزل عليها من فوقها شيءٌ مهولٌ عظيم ستر ها كلَّها فدمّر ها تدميراً شاملاً، فدلّ الإبهام في الموصول وصلته على عِظَم الأمر المهول الذي غشَّى قرى قوم لوط المنقلبة عاليها سافلها [2].

الداعي السابع عشر: الإشارة إلى أنّ الوصف الذي دلّت عليه صلة الموصول هو علة بناء الحكم في الجملة.

ومن الأمثلة على هذا الداعي قول الله عزَّ وجلَّ:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة:177)، أي: هذا الجزاء الكريم لهم إنّما هو بسبب اتصافهم بالإيمان والعمل الصالح وَإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

الداعي الثامن عشر: قد يُتَّخَذُ اسم الموصول مع صلته ذريعة للتخويف من عقاب الموصوف به، والتحذير الشديد من مخالفته.

ومنه قول الله عزَّ وجلَّ في حكاية ما قال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه:(وَاتَّقُواْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ) (الشعراء:184)، فالمعنى أنّ خالق الناس جميعاً (الجبلة الأولين) يجب أن يُتَّقَى عقابُه، إذ هو على كلّ شيءٍ قدير.

الداعي التاسع عشر: قصد الدلالة على معانٍ تتضمنها صلة الموصول، وهذه المعاني لا تدلُّ عليها المعارف الأخرى، ولا حصر لهذه المعاني.

وبعض هذه المعاني يُشعر بتعظيم من دلّ عليه اسم الموصول، وما يجب تجاهه، مثل قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) (الانفطار:7). وبعضها يشعر بالتّهكُّم، مثل قول المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم (وَقَالُواْ يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)(الحجر:6)[3].

([1]) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص308.
([2]) ينظر الميداني، البلاغة العربية، ص332.
([3]) الميداني، البلاغة العربية(ص 340)

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

الداعي العشرون: أن يشار بالإضافة إلى تعظيم المضاف أو تعظيم المضاف إليه.
ومن أمثلته قول الله عزَّ وجلَّ: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...)(الإسراء:1)، وقول الله عزَّ وجلَّ:(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً)(الجن:19)، فلِبَداً: لِبَد جَمْعُ لِبْدَة، وهي لِبْدَةُ الأَسَدِ، أي: كاد مشركو مكة من كثرة تألُّبهم ضدَّه لمقاومة دعوته يكونون مثل لِبَدِ أُسود حوله[1]، فالإضافة إلى الله في الآيتين تَشْرِيفٌ للمضاف عظيم.

ثانياً: دواعي مجيء النكرة في القرآن الكريم.
ينهج القرآن الكريم منهجاً فريداً في انتقاء الكلمة القرآنية تعريفاً وتنكيراً مراعياً أبعادها، ثم في توظيفها بعد ذلك في السياق التركيبي، ولذا فالكلمة القرآنية في هذا الإطار تتمتع بكل عناية واهتمام منذ لحظة الانتقاء إلى لحظة التوظيف النصي. ومن ضمن أسس الانتقاء؛ التوظيف السياقي للكلمة القرآنية في هيئات النكرة والمعرفة، وما ذاك إلا قصداً لدلالات بعينها، وتوظيف الكلمة منكرة أو معرفة إنما يخضع في خصوصيته لمحددات السياق النصي، وفنيات التوظيف الجمالي.
يقول الزملكاني: "قد يظن ظانٍ أن المعرفة أجلى، فهي من النكرة أولى ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق. وعلة ذلك أن النكرة ليس لمفردها مقدار مخصوص، بخلاف المعرفة، فإنها لواحد بعينه، يثبت الذهن عنده، ويسكن إليه"[2].
فالزملكاني يقرر هنا أن النكرة أصل والتعريف فرع عليه، إذ قد يراد من وراء توظيف النكرة الدلالة على عموم وشمول لا تستطيع المعرفة أن تدل عليها، لكن ذلك لا يلغي أهمية التوظيف للمعرفة في سياقها النصي الخليق بها [3].
ولنحاول الوقوف على بعض سياقات التعريف والتنكير في كلمات القرآن الكريم، رغبة في إدراك بعض جماليات التوظيف لهذه الفنية في السياق القرآني، فثمة داع للتنكير في القرآن الكريم، حاول العلماء إبرازها لتبين جمال النسق القرآني، ومن هذه الدواعي:
الداعي الأول: أن يقصد المتكلم عدم تعيين من يتحدث عنه.
وتظهر هنا عدّة أغراض؛ منها أن يكون تعيينُه زائداً على ما يقصد المتكلم بيانه، مثل تعيين اسم الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ليقول لموسى عليه الصلاة والسلام: إنَّ الملأ يأتمرون بكَ ليقتلوك، لذلك لم يذكر الله اسمه، فقال تعالى:(وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)(القصص:2)[4].
الداعي الثاني: أن يكون مراد المتكلّم ذكر واحد غير معين من الجنس أو النوع أو الصنف، ومنه قول إخوة يوسف حينما تآمروا للتخلّص منه أن يطْرَحُوهُ أَرْضاً ما بيعدة دون تعيين، حتَّى يضلّ أو تأكله الوحوش، قال الله عزَّ وجلَّ:(إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً

(1) ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (ص 559)،.
(2) الزملكاني، البرهان الكاشف عن سر الإعجاز، ص 136 .
(3) ينظر: عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز - 132، والسكاكي ، مفتاح العلوم، ص، 85 ، العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 208 .
(4) ينظر عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص330.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

صَالِحِينَ)(يوسف:9)، وهذا الشاهد يصلح أيضاً لإرادة من الأرض غير معيّنة بذاتها، لكنّها نوعٌ ذات وصف خاص، فهي أرض بعيدة نائية مجهولة مَنْ طُرِح فيها ضلَّ وتعرَّض لِلْهَلاَك[1]

الداعي الثالث: قد يختار المتكلم النّكرة قاصداً بالتنكير التكثير، وتدلُّ القرائن على قصد التكثير، وإذْ دَلَّتِ القرائن عليه حَسُـــن في الكلام حَذْفُ الوصـــف الدالّ على الكثرة، والاكتفاء بدلالة التنكير مع دلالة قرينة الحال أو قرينة المقال.

ومنه قول الله عزَّ وجلَّ، بشـــأن تقطيع بني إســـرائيل في بلدان كثيرة من الأرض: (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَـماً...)(الأعراف:168)، أي: أُمـما كـثـيـرةً فـي بـلـدان مـن الأرض كـثـيـرة[2].

الداعي الرابع: وقد يختار المتكلم النكرة قاصداً بالتنكير التقليل، وتدُلُّ القرائن على قصد التقليل، فإذْ دلَّت القرائن عليه حَسُنَ في الكلام حذف الوصف الدالّ على القلّة، والاكتفاء بدلالة التنكير مع دلالة قرينة الحال أو قرينة المقال، ومنه كذلك قول الله عزَّ وجلَّ: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْـوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذالِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة:72)، فجاءَ لفظ "رِضْـــوانٌ" مُنْكَراً، وقرينة كونه من الله مع كونه أكبر من كلّ ما في جنّات عَدْنٍ مِنْ نعيم دليلٌ على أنّ المراد: ورضـــوانُ قليلٌ من اللهِ يُفْرِغُهُ على أهل جناتِ عَدْنٍ هو أكثر عندهم وأعظم من كلِّ ما فيها من نعيم.

الداعي الخامس: التعظيم.

وذلك بأن تدلُّ القرائن على قصد التعظيم، وإذْ دلّت القرائن عليه حَسُنَ في الكلام حذف الوصف الدالّ على التعظيم، والاكتفاء بدلالة التنكير مع دلالة قرينة الحال أو قرينة المقال، ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: (الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)(البقرة:2)، فجاء في هذا النصّ تنكير لفظ "هُدىً" للتعظيم والتفخيم، أي: هُدىً عظيم فخمٌ جليل للمتّقين، ودلّ على إرادة التفخيم قرينة تمجيد القرآن، إذْ جاءت الإشارة إليه بإشارة البعيد للدلالة على منزلته الرفيعة جدّاً، وجاء وصفه بأنه لا ريب فيه، ودلّ على كونها شديدةً مخيفة كَوْنُها من الله ورسوله، وكونُها عقوبة على معصيةٍ هي من الكبائر[3].

الداعي السادس: إرادة التحقير والتصغير، وتدلُّ القرائن على ذلك.

ومن أمثلته قول الله عزَّ في حكاية قول مؤمن آل فرعون: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يا قَوْمِ إِنَّمَا هَاذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)(غافر:39)، فجاء في هذا النص تنكير "مَتَاع" للتحقير والتصغير، أي: متاعٌ حقير صغير سريع الزوال، وفيه معنى التقليل أيضاً.

الداعي السابع: إرادة نوع من الأنواع، أو صنف من الأصناف.

مثالة: قول الله عزَّ وجلَّ خطاباً للذين آمنوا بشأن اليهود: (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ)(آل عمران:111)، جاء في هذا الآية تنكير لفظ "أذىً" لإرادة أنه نوع خفيف من أنواع الضّرَر، فالمعنى: لن يضرُّوكم إلاَّ ضرراً هو نوعٌ من أنواع الأذى، فجاء تنكير "غِشَاوَةٍ" لإفادة أنَّها نوعٌ خاصٌّ يحجُبُ فقط رؤية آيات الله، وقد دلّ على هذا أَنَّهُم يَرَوْن بأبصارهم أشياء كثيرة إلاَّ أنهم محجوبون عن إدْراك آيات الله.

([1]) ينظر الميداني، البلاغة العربية، ص342.
([2]) ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (1 / 556).
([3]) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص334.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

الداعي التاسع: إرادة الإطلاق وعدم الحصر بالتنكير، إذ التعريف فيه تَقْيِيدٌ وحصر.
ومثاله قول الله عزَّ وجلَّ: (فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً)(الفرقان:59)، أي: أَيَّ خبيرٍ كان لجأ إليه ودعاه فَرحمه، واستجاب له دُعاءه، فجاء اللّفظ نكرة لإرادة الإطلاق الذي يصْدُقُ بخبير فأكثر من المجربين الخبراء عن تجرب، فسأل عنه خبيراً هو الله عز وجل وقيل جبريل عليه السلام[1].
الداعي العاشر: إرادة التعميم بالتنكير، وتساعد على إرادة التعميم القرائن الفكريّة أو اللفظية ويظهر هذا فيما يعمل عمل الفعل من الأسماء، لأنه بمثابة الفعل الّذي حذف معموله لإرادة التعميم.
فمن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(لقمان:34)، فالله مبالغٌ في العلمِ فلا يعزبُ عن علمِه شيءٌ من الأشياءِ التي من جُملتِها ما ذُكر، و خَبِيرٌ يعلمُ بواطنَها كما يعلمُ ظواهرَها، فهو عليم بكلّ شيءٍ، خبير بكلّ ما يصلح بطبيعته للاختبار والتجربة[2]. وقوله تعالى: (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (الشورى:27) فمنهم من لا يُصلحه إلا الغنى، ومنهم من لا يُصلحه إلا الفقر، فهو خبير بكلّ شيءٍ من أمور عباده وأحوالهم، بَصِيرٌ بكلِّ ما يُدْرَكُ بالْبَصَرِ من ظواهرهم وبواطنهم[3].

المبحث الثالث: شواهد من الإيجاز بالتعريف والتنكير في القرآن الكريم.

لقد حوت كتب التفسير الكثير من الشواهد التي تدل على أساليب الجملة القرآنية، من حيث بلاغة التعريف والتنكير في القرآن الكريم ومن ذلك:

أولاً: شواهد من الإيجاز بالتعريف في القرآن الكريم.

فمن أمثلة ذلك قول الله عز وجل في سورة الفاتحة:(الحمد لله رب العالمين)(الفاتحة:1)، فالمحلى بلام الجنس في المقامات الخطابية يتبادر منه الاستغراق وهو الشائع هناك مطلقا وأي مقام أولى بملاحظة الشمول والاستغراق من مقام تخصيص الحمد به سبحانه تعظيماً[4]، فكأنه أراد أن يقول بهذه العبارة الموجزة الحمد كله لله وحده:(رب العالمين)(الفاتحة:2) "ألا ترى أنه إذا جمع مجردا من التعريف دل على اختلاف الأنواع، ثم إذا عرف أفاد استغراقا غير موقوف على الجمعية" [5]، فكأن اللام وصيغة الجمع أعطت الاسم دلالة الشمول من جميع الجوانب والاتجاهات.
وفي تفسير قوله تعالى: (فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) (يونس:81)، فالألف واللام للتعريف، وهو تعريف العهد [6]، فكأنه أراد أن يؤكد لهم أن الذي جئتم به إنما هو من جنس السحر المعهود المعروف، فأوجز القرآن جل هذه المعاني بالألف واللام.
ومنه قوله تعالى:(قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف:9.)، وهذا أَخِي؛ مبالغةً في تعريف نفسه وتفخيماً لشأن أخيه [7].

---

(1) البغوي، معالم التنزيل، 91/6
(2) بتصرف يسير أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (5 / 304)
(3) بتصرف يسير ابن الجوزي، زاد المسير، (5 / 321)
(4) ينظر الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني (1 / 74)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (1 / 157).
(5) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل (1 / 10)
(6) السمين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (1 / 2358)
(7) بتصرف، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (3 / 470)

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

وقوله تعالى:(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) (فاطر:42)

ففي مقصود الأمم وجهان أحدهما: أن يكون المراد العموم أي أهدى من أي إحدى الأمم وفيه تعريض وثانيهما: أن يكون المراد تعريف العهد أي أمة محمد وموسى وعيسى ومن كان في زمانهم [1]، وبهذا يكون التعريف إما لإفادة العموم أوللعهد وفي كلا الأمرين إيجاز في الجملة القرآنية.

وكذا دلالة تعريف الليل والنهار فى قوله تعالى (يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) (فصلت: 38)، فلأن المعرفة غالباً تفيد الدوام، فعندما تقول خرجت صباحاً تعني صباح يومٍ بعينه، وعندما تقول سأخرج صباحاً لا بد أن تأتي صباح يومٍ بعينه، أما عندما تقول أخرج في الصباح يعني أيّ كل صباح ولذلك (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) (فصلت: 38) ليس هناك وقت محدد [2] .

ثانياً: شواهد من الإيجاز بالتنكير في القرآن الكريم.

وكذا الناظر في سياق الجملة القرآنية، يجد في طياتها ألواناً من العرض البلاغي ومن ذلك أننا نرى الكلمات المتلاسقة متنوعة في تعريفها وتنكيرها، وذلك لغايات مقصودة ودواعي جلية، وسيضرب الباحث نماذج تأصيلية على التنكير في القرآن الكريم ليبين ما أبرزه من هذه الدواعي.

فمن ذلك قول الله عز وجل: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة:25)، يقول الرازي:"فإن قيل لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار؟ فالجواب: أما الأول فلأن الجنة اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنات، وأما تعريف الأنهار فالمراد به الجنس كما يقال لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب يشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب، أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله: فِيهِا أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ (محمد: 15)"[3].

وكذا قول الله عز وجل: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (البقرة:37)، قال ابن عرفة:"وتنكير (كلمات) للتشريف والتعظيم كما في قوله تعالى: "والفجر وَلَيَالٍ عَشْرٍ" وقال: نكّرت؛ لأنّها معيّنات معلومات فرد عليه بمنافاة التنكير للتعيين، وأجيب بأنها لشرفها وعظمها صارت معلومات في الذهن فلم تحتج إلى تعريف وكذلك هنا"[4].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)(الرعد:17)، وأطلقت الأودية وأريد ماؤها من قبيل إطلاق المحل وإرادة ما يحل فيه، وقد مثل الله تعالى المهتدى بالبصير، والضال بالأعمى، والعبادة الحقة بالنور، والباطلة بالظلمات فى الآية السابقة. وفى هذه الآية مثل الحق بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل منه أودية مختلفة تأتى بالزروع والثمار مناوبة، ولذا نكر أودية[5]، أي لتدل على عموم النازل وعموم النابت.

(1) الفخر الرازي، التفسير الكبير أومفاتيح الغيب، (26 / 246).
(2) بتصرف واسع السامرائي، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، (1 / 40)
(3) الرازي، مفاتيح الغيب، (2 / 358).
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، (1 / 264)
(5)أبو زهرة، زهرة التفاسير ، ص3925.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

ومنه قوله تعالى:(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) (الإسراء:79)، فقد نكر مَقَامًا مَّحْمُودًا؛ ليتناول مقاماً مخصوصاً بل كل مقام محمود صدق عليه إطلاق اللفظ[1].

وكذا قوله تعالى:(وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) (طه:69) وتنكيره للتوسل به إلى ما يقتضيه المقام من تنكير المضاف ولو عرف لكان المضاف إليه معرفة وليس مرادا، ونكر ليتوسل به إلى تحقير المضاف. وتعقب بأنه بعد تسليم إفادة ذلك تحقير المضاف لا يناسب المقام ولأنه يفيد انقسام السحر إلى حقير وعظيم وليس بمقصود. وأيضا ينافي ذلك قوله تعالى في آية أخرى وَجاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ إلا أن يقال عظمه من وجه لا ينافي حقارته في نفسه وهو المراد من تحقيره. وقيل: إنما نكر لئلا يذهب الذهن إلى أن المراد ساحر معروف[2].

ومنه القول في تأويل قوله تعالى:(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً)(طه:1.4)، قال أبو السعود: "ونسبة هذا القول إلى أمثلهم، استرجاع منه تعالى له، لكن لا لكونه أقرب إلى الصدق، بل لكونه أدلّ على شدة الهول . أي: ولكونه منتهى الأعداد القليلة، وكذلك لبثهم بالنسبة إلى الخلود السرمديّ، وإلى تقضي الغائب الذي كأن لم يكن. ولا ينافي هذا ما جاء في آية ومنها قوله تعالى:(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) (الروم: 55)، لأن المراد بالساعة الحصة من الزمان القليل، فتصدق باليوم. كما أن المراد باليوم مطلق الوقت. ولذلك نكر، تقليلاً له وتحقيراً، وليس المراد بحكاية قول من قال عَشْراً أو يَوْمَاً أو سَاعَةً حقيقة اختلافهم في مدة اللبث، ولا الشك في تعيينه. بل المراد أنه لسرعة زواله، عبّر عن قلّته بما ذكر. فتفنن في الحكاية، وأتى في كل مقام بما يليق به"[3]، أما قوله تعالى:(لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ) (الحج:28)، فإنما نكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات[4].

وكذا قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) (النمل:15)، قال السمين:"وإنما نَكَّر "عِلْماً" تَعْظيماً له أي: علماً سَنِيّاً، أو دلالةً على التبعيضِ لأنه قليلٌ جداً بالنسبةِ إلى عِلْمِه تعالى" [5].

ومنه كذالك قوله تعالى:(قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الجاثية: 14)، ففي التنكير كمال التعريف[6]، إشاره إلى قوله قوماً حيث جاءة نكره ويقصد بها كل قوم على اختلاف أوصافهم وأعمالهم.

وقوله تعالى:(وَوالِدٍ وَما وَلَدَ) (البلد:3)، يقول صاحب البحر"فإن قلت: لم نكر؟ قلت: للإبهام المستقل بالمدح والتعجب"[7]، كأنه أراد أن يشمل الإبهام كل من انطبق عليه الوصف.

(1) أبوحيان، البحر المحيط، (7 / 101)
(2)الآلوسي، روح المعانى، (8 / 540)
(3) أبو السعود،إرشاد العقل السليم، (4 / 385)
(4) الرازي، مفاتيح الغيب، (23 / 221)
(5) السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، (1 / 3840)
(6) بتصرف الآلوسي، روح المعانى،(14 / 28).
(7)أبو حيان، البحر المحيط، (8 / 357).

وكذلك قوله جل في علاه: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) (الشمس:7) تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها، "فإن قيل: لم نكّر النفس؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه أراد الجنس كقوله: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ) (التكوير:14) والآخر أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار"[1].

وفي الختام من خلال تعريف للتعريف والتنكير في اللغة والاصطلاح وبيان لدواعي كل منها وتأصيل لشواهدها يتبين مدى عناية الجملة القرآنية بتخير ألفاظها تعريفاً وتنكيراً، لتدلل على أوسع المعاني التي ما كانت لتكون في غير هذا النظم القرآني الموجز المعجز بأقل الألفاظ التي لا يمكن اختزالها، فلابد من إيجاد مجامع قرآنية ودراسات جامعية تعنى بتحليل آيات القرآن الكريم مبرزة أثرها على مقصود الله تعالى من النص القرآني.

المصادر المراجع

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ)، زاد المسير، ط3،المكتب الإسلامي، بيروت، 1404هـ. .
- ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي المالكي،التسهيل لعلوم التنزيل، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى ، مصر ، ، سنة 1355هـ .
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط1، تونس، الدار التونسية.
- ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تفسير ابن عرفة، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، 1986 م، الطبعة: الأولى.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، ط1، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر 1994م
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ابن منظو، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.
- أبو البقاء الكفومي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ1998م
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
- حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم - الدار الدمشقية، دمشق، الطبعة الأولى، 1996
- الآلوسي، محمود (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت. .
- البغوي، أبو محمد حسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة، الطبعة الرابعة، 1417هـ،1997م.
- الحندود، د صالح بن إبراهيم بن مدالله، درجات االتعريف والتنكر، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية، الجزء التاسع، العدد الحادي والثلاثون، رمضان 1425هـ.

(1)ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي المالكي،التســهيل لعلوم التنزيل، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى ، مصر ، ، سنة 1355هـ ، ص2614.

- الزمخشري، محمود بن عمر، (ت538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1421هـ2001م.
- الزملكاني، ابن الزَّمَلْكاني، محمد بن علي بن عبد الواحد 1269 - 1327، البرهان الكاشف عن سر الإعجاز، مكتبة عارف حكمت الدولة، المملكة العربية السعودية، المدينة المدينة المنورة :.
- السامرائي، د/فاضل صالح السامرائي. لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، دار عمار ، بيروت، الطبعة الثالثة - 1423هـ/2003م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت1376هـ)، تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1421هـ200م
- السكاكي ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ) مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه :نعيم زرزورا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنانالطبعة :الثانية، 1407 هـ - 1987 م .
- السمين، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق :الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الاتقان في علوم القرآن، المحقق :محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1394 :هـ/ 1974 م
- الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد الدين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت826 هـ)، التعريفات، ط1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1419هـ-1998م.
- عباس، فضل حسن،1985م، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ط1، عمان، دار الفرقان .
- عبدالقاهر الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز - الجرجاني ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، 1995، تحقيق : د.محمد التنجي ، دلائل الإعجاز،.
- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (المتوفى: 745هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة :الأولى، 1423 هـ 208 .
- الفخر الرازي، محمد بن عمر، (ت606هـ)، التفسير الكبير أومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1415هـ-1995م.